

الدولة الجلائرية والتشيع
وقفة تأملية عند أسباب النزعات الشيعية لدى الجلائريين

الدكتور جعفر نوري
أستاذ مساعد، قسم الدراسات الإيرانية، جامعة ميبد، إيران
j.nouri@meybod.ac.ir

Jalayirid Sultanate and Shi'ism: A reflection on
how and why the rulers of Jalayirid Sultanate
tended to Shi'ism

Dr. Ja'far Nouri
Assistant Professor of Iranology Department , Meybod , Meybod
University , Iran

Abstract:-

Jalayirid Sultanate ruled Iraq and Azerbaijan between 740-835 AH. The rulers of this dynasty, though in the process of other Turkish dynasties before themselves, were Sunnite, but showed Shiite tendencies and supported the Shiites within their territory. While examining the traits that imply that Jalayirid Sultanate is Shiite, is study examines the factors of the Jalayirid Sultanate's tendency toward Shiites. The fundamental hypothesis in this study is stepped down to prove or reject and the factors like the need of Jalayirid Sultanate to consolidate the legitimacy, the existence of Shiite holy shrines in their realm, the proximity of Sufism to Shi'ism and their unity and Shafi'is of Azerbaijan caused the Jalayirid rulers to express Shiite tendencies and support the Shiites. This research is historical research that is organized with a descriptive-analytical approach and library and documentary methods have been used to collect pieces of information.

Key words: Jalayirid Sultanate, Shiite tendencies, Legitimacy, Sufism, Shiite Imams.

المخلص:-

حكمت الدولة الجلائرية العراق وأذربيجان سنوات ٧٤٠ - ٨٣٥ للهجرة القمرية. فإنها، وإن كانت كسائر الدول التركية الأصول على مذهب السنة، إلا أنها أظهرت ميولا شيعية تركت بصمات واضحة على مسار التشيع في امتداد التاريخ. من هذا المنطلق، تروم هذه الورقة البحثية المتواضعة أن تسلط الضوء على الملامح الدالة على تشيع الجلائريين، وأن تتناول أسباب النزعات الشيعية لديهم. تسعى هذه الدراسة أيضا إلى اختبار فرضية رئيسية، مفادها ما يلي: إن الأسباب والدوافع المختلفة أدت إلى مودة الجلائريين لأهل البيت وأتباعهم واهتمامهم البالغ بتوسيع رقعة التشيع، وذلك نحو حاجة الجلائريين الماسة إلى الشيعة لاكتساب الشرعية، وتواجد المراقد والمشاهد المقدسة لأئمة الشيعة وكبارهم في الأقاليم الخاضعة لسيطرتهم، واقترب التصوف من التشيع، ووجود العلاقات الحميمة بين الشيعة والشافعيين في أذربيجان. لا يفوتنا، أن هذه الدراسة من الدراسات التاريخية التي تتبع المنهج الوصفي - التحليلي، تعتمد على المنهج البيلوغرافي لجمع المعلومات والبيانات.

الكلمات المفتاحية: آل جلائر، النزعات الشيعية، الشرعية، التصوف، أئمة الشيعة.

المقدمة:

يبدو للمتأمل في الدراسات التاريخية أن انهيار الدولة الإيلخانية كان بداية فترة تاريخية اتسمت بعدم الاستقرار والثبات والتشتت السياسي في تاريخ إيران. فبعد رحيل أبي سعيد في سنة ٧٣٦ للهجرة، احتدمت المنازعات والصراعات الداخلية الكثيرة بين الأمراء وذوي السيادة على السلطة والنفوذ، فانحلت الدولة المركزية شيئاً فشيئاً، فاستقل الحكام والأمراء بالمناطق التي كانوا يحكمونها، فظهرت دويلات محلية مستقلة. من أهم هذه الدويلات المحلية التي تمخضت عن الصراعات الداخلية، يمكن أن نشير إلى الدولة الجلائرية التي قامت بفرض السيطرة على العراق وأذربيجان ومناطق من عراق العجم سنوات ٧٤٠ - ٨٣٥ للهجرة القمرية.

لقد كان آل جلائر من القبائل المغولية الأصول التي كانت تنحدر من إيلكا نويان، الابن الكبير لجوجي ترملة من كبار قبيلة جلائر. فلما زحف هولوكو إلى إيران، جاءت معه قبيلة الجلائريين، وكان زعيمها إيلكا نويان الذي خاض في حروب كثيرة ولعب دورا بارزا في استيلاء الجيش المغولي على آسيا الوسطى والشامات، مما أدى إلى أن أولاده وأحفاده أحكموا قبضتهم على قيادة الجيش الإيلخاني في المستقبل (دائرة المعارف بزرگ اسلامي، جلايريان: ٣٣٢/١٨-٣٣٦). فكان الشيخ حسن بزرگ من جملة أحفاده الذين استطاعوا أن يتقلدوا أمورا مهمة في صلب الدولة، فهو مثلاً تولى منصب أمير الأمراء وتلقب بأولوس بك. فبعد أن وافت المنية أبا سعيد، اغتنم الشيخ حسن بزرگ هذه الفرصة الذهبية، فقام بتأسيس الدولة الجلائرية في تبريز. استمرت هذه الدولة حتى غزو تيمور على إيران.

هناك اختلافات في مذهب الجلائريين، إلا أنه يبدو أنهم كانوا على مذهب السنة كسائر الحكام الأتراك إلا أنهم - فيما بعد - عملوا على تشجيع انتشار التشيع في الأقاليم الخاضعة لنفوذهم لاستقطاب الشعب الشيعي واستمالتهم. فلجؤوهم إلى الأعمال المختلفة، نحو اتخاذ الأسماء الشيعية، والدفن جوار قبور أئمة الشيعة، وسك النقود بأسماء الأئمة المعصومين، والقيام بالأعمال الإعمارية الكبيرة في العتبات المقدسة وغيرها، خير دليل على حبهم للجم ومودتهم الكثيرة لأهل البيت والشيعة. والحقيقة التي لا مراء فيها، أن سبب حبهم الوفير لأهل البيت وأتباعهم يكمن في العوامل مختلفة والظروف والملاسات السائدة في المجتمع

آنذاك، مما تسعى هذه المقالة إلى إزاحة الستار عنها.

خلفية البحث:

لم أعر - بحسب علمي وإطلاعي - على دراسة مستقلة شاملة وافية للموضوع تلقي الضوء على أسباب النزعات الشيعية لدى آل جلائر، ولكن توجد هناك في تضاعيف المقالات والكتب التي تناولت تاريخ أذربيجان أو تاريخ الدولة الجلائرية، إشارات قصيرة إلى موضوع البحث؛ فمن أهمها ما يلي:

- مقالة عنوانها "نكرش حاکمان آذربایجان به تشيع: از فروپاشي ايلخانان تا تأسيس صفويه" (= نظرة حكام أذربيجان إلى التشيع: من سقوط الدولة الإيلخانية حتى ظهور الدولة الصفوية)، لمسعود شاهمرادي. تطرقت المقالة إلى الخدمات التي أسدتها الدولة الجلائرية لاتساع رقعة التشيع، إلا أنها لم تعالج أسباب نزعة هذه الدولة المغولية إلى الأفكار والآراء الشيعية.
- مقالة عنوانها "حكومت گران و تحولات مذهبي آذربایجان: از برافتادن ايلخانان تا برآمدن صفویان" (= الحكام والتطورات المذهبية في أذربيجان: من سقوط الإيلخانيين حتى ظهور الصفويين)، لمهدي عبادي. تناولت المقالة - بصورة عابرة - تشيع الجلائريين، دون أن تقدم دراسة تحليلية معمقة لأسباب حبهم ومودتهم للشيعية.
- كتاب "آل جلائر" للكاتبة شیرين بياني. فألقي هذا الكتاب القيم ضوءاً عابراً على ما قام به الدولة الجلائرية من الأعمال والأنشطة التي تنم عن حبهم ومولاتهم للشيعية؟

الملامح الدالة على النزعات الشيعية لدى آل جلائر:

بعد أن قامت الدولة الجلائرية على أكتافها في العراق وأذربيجان، حرصت هذه الدولة المغولية الأصول على رفع منارة التشيع واستقطاب الشعب الشيعي، فقامت بأعمال كثيرة للذب عن الشيعة ومناصرتهم. فإن هذا الأعمال، وإن لم تدل دلالة واضحة على اعتناق الجلائريين للتشيع، إلا أنها تنم بكل وضوح عن ارتفاع راية التشيع في المجتمع وانتعاش

الشيعية في أيام سيطرة الجلائريين على مقاليد الحكم.

أسماء الحكام الجلائريين:

لا نعدو الصواب إذا قلنا إن أسماء حكام الدولة الجلائرية من أبرز الملامح الدالة على حبهم ومودتهم لأهل البيت وأتباعهم. فإذا ألقينا نظرة عابرة على أصول هذه الدولة، نلاحظ أنها كانت من سلالة مغولية، فكان آباء وأجداد الشيخ حسن بزرك يحملون أسماء مغولية، نحو: جوجي ترملة، وإيلكا نويان، وآق بوقا؛ ولكن منذ عصر أبي الشيخ حسن الجلائري، والذي أطلق على نفسه حسين، نشهد أن كبار هذه الأسرة المغولية وحكامهم مالوا إلى اتخاذ الأسماء الشيعية. فما يدعم قولنا هذا أن أسماء الحكام والأمراء الجلائريين، نحو: حسن، وأويس، وحسين، وأحمد وقاسم، كانت من الأسماء المقدسة لدى الشيعة، مما يدل بكل وضوح على النزعات الشيعية لديهم (بياني، ١٣٤٥: ٧).

الدفن في العتبات المقدسة:

من دواعي المحبة لآل البيت والشيعة لدى الجلائريين، أن بعضهم كانوا يرغبون كل رغبة في أن يدفنوا في العتبات المقدسة. إن الدفن في العتبات المقدسة من جملة العلامات الدالة على كون شخص شيعياً (جعفريان، ١٣٨٨: ٨٣). على أساس العقائد والآراء الشيعية، أن الدفن جوار القبور المقدسة لأئمة الشيعة وأبنائهم الطاهرين، يؤدي إلى شفاعة الأئمة وإسقاط العقاب وغفران الذنوب. ومن اللافت أن أسبقية نقل أجساد الأموات إلى المدن الشيعية العراقية ودفنها جوار الأماكن المقدسة لدى الشيعة تعود إلى البويهيين. فيعد نقل جثمان صمصام الدولة بن عضد الدولة البويهية من كنجة إلى ضريح على بن حمزة a في مدينة شيراز، أول تجربة في نقل أجساد الموتى إلى الأماكن المقدسة الشيعية (فسايي، ١٣٦٧، ج: ١، ٢٢٦؛ فقيه بحر العلوم، ١٣٩٦: ٧ - ٨)، فبعد ذلك، شاعت بين الشيعة عادة دفن الأموات على وجه العموم، والملوك والأمراء وكبار العلم والدين والعلماء على وجه الخصوص في جوار الأماكن المقدسة.

أما بالنسبة إلى الجلائريين، فيمكن أن نقول إن الشيخ حسن الجلائري، مؤسس الدولة الجلائرية، كان أول شخص حمل جثمانه إلى النجف الأشرف ودفن في المرقد الشريف وفقاً لوصيته، مما ينم عن مشاعره وأحاسيسه المنبعثة عن حبه الوفير للإمام على a والشيعة

(٨١٢) الدولة الجلائرية والتشييع: وقفة تأملية عند أسباب النزعات الشيعية لدى الجلائريين

(حافظ أبرو، ١٣٥٠: ٢٤٢ - ٢٤٣؛ سمرقندي، ١٣٥٣: ٤٠٣؛ ميرخواند، ١٣٣٩، ج ٥: ٤٧٣).
حري بالذكر أن عادة الدفن في العتبات المقدسة استمرت في الدولة الجلائرية بعد رحيل
الشيخ حسن الجلائري، حيث دفن جثمان قاسم بن الشيخ حسن وأخي السلطان أوس
الجلائري في الحرم العلوي المطهر بالنجف الأشرف (سمرقندي، ١٣٥٣: ٤٠٣).

نقش الشعار الشيعي على النقود:

مما لا يخامرنا الشك أن الأموال تمثل الركن الأساسي في حياة الإنسان. إن جنس النقود
والمسكوكات والكتابات والنقوش عليها من المصادر الوثائقية التاريخية التي تعكس أوضاع
الحياة الاقتصادية والثقافية والدينية السائدة في تلك الحقبة التاريخية؛ بعبارة أخرى، أن
النقود والمسكوكات تكشف الستار عن الوضع السياسي والثقافي والاجتماعي والمذهبي
السائد في كل ناحية أو منطقة جغرافية، وتفصح عن دلالات عديدة أخرى وتكشف عن
خفايا كثيرة وحقائق تاريخية أهملها المؤرخون والأثريون (سرافرازي، ١٣٩٤: ٥٠ - ٥١)؛
فتكمن أهمية النقود والمسكوكات أيضا في كونها مصدرا وثيقا لدراسة الميول المذهبية
للحكام والأمراء؛ فعلى سبيل المثال، تم نقش أسماء الأئمة الاثني عشر على النقود التي
تعود إلى عصر حكم الشيخ حسن الجلائري، وتم ضربها في مدينة آمل (ترابي طباطبائي،
١٣٥٣: ١١٠)، مما يدل كل دلالة على الميول الشيعية لدى مؤسس الدولة الجلائرية. مع ذلك،
قد بقيت من الدولة الجلائرية نقود نقش عليها شعارات سنية وذكرت عليها أسماء الخلفاء
الراشدين الأربعة (بياني، ١٣٤٥: ٢٣٦ - ٢٣٧). مما لا شك فيه أن نقش أسماء الأئمة الاثني
عشر على النقود والمسكوكات في عصر الشيخ حسن الجلائري، وكذلك ذكر اسم الإمام
على إلى جانب الخلفاء الثلاثة الأول أبي بكر وعمر وعثمان على النقود، مما يفصح عن
اتساع نطاق النزعات الشيعية في العصر الجلائري. يستفاد من هذا، أنه ارتفع شأن الشيعة
واتسعت رقعتهم في الأقاليم الخاضعة للدولة الجلائرية، حيث ما كان يستطيع حكامها
إهمال هذه النزعة المذهبية؛ بذلك قاموا بذكر الإمام على إلى جانب الخلفاء الثلاثة على
مسكوكاتهم ونقودهم للتسوية بين الشيعة والسنة.

الأعمال الإيعمارية للحكام الجلائريين في العتبات المقدسة:

من جملة الأعمال التي تكشف عن الميول الشيعية للحكام الجلائريين وانجذابهم إلى

الأئمة المعصومين هي اهتمامهم البالغ بالأعمال الإعمارية في الأماكن الشريفة، نحو كربلا المقدسة والنجف الأشرف والكاظمين. و جدير بالذكر هنا أن السلطان أويس بن حسن بزرگ الجلائري بذل جهودا جاهدة لإحياء وإعادة إعمار الأماكن المقدسة. فهو قام بتعمير وإعادة إعمار حرم الإمام الحسين في كربلاء في سنة ٧٦٧ للهجرة القمرية (قائدان، ١٣٨٣: ١٠٧). زد على ذلك، أنه أمر بتشييد جدار جديد حول الحرم العلوي المطهر للحفاظ عليه في النجف الأشرف (آل محبوبة، ١٤٠٦، ج ١: ٢٢). مضافا إلى ذلك، أنه قام بتعمير المشهد الكاظمي بشكل كامل بعد أن أصيب بأضرار كثيرة بسبب فيضانات نهر دجلة المتكررة، كما بنى رباطا للزوار الشيعة في هذه المدينة. قمين بالذكر أن الدراسات التاريخية تشير إلى أن السلطان أحمد بن السلطان أويس، السلطان الأخير للدولة الجلائرية، شيد إيوان الذهب ومسجد الصحن حول الروضة على شكل مربع (قائدان، ١٣٨٣: ١٠٨).

مضافا إلى الأعمال الإعمارية الكثيرة التي قام بها الحكام الجلائريين في حرم الأئمة المعصومين، كان هؤلاء الحكام يحترمون الأماكن المقدسة ويراعون حرمتها، حيث كان يلجأ الثوار والخارجون إلى هذه الأماكن المقدسة للتخلص من أغلال الحبس أو الموت؛ فعلى سبيل المثال، بعد أن ثار خواجه أمين الدين مرجان الرومي على السلطان أويس الجلائري وأرسل السلطان جيشا مكثفا إليه، لجأ خواجه إلى كربلا، فضرب السلطان عنه صفحا، حتى بعد أن رأى السلطان أن خواجه مرجان شيد منارة العبد في هذه المدينة المقدسة، فوض إليه حكم العراق بسبب الخدمات الجليلة التي كان قد قدمها لحرم الإمام الحسين a في كربلاء (ميرخواند، ١٣٣٩، ج ٥: ٥٧٥).

تكریم ذرية أهل البيت والعلماء الشيعة:

إن الحكام الجلائريين كانوا يتعاملون مع الشخصيات الشيعية البارزة وذرية أهل بيت النبوة باحترام فائق وتقدير كثير، مما يكشف بكل وضوح عن ولائهم ومودتهم لأهل بيت النبوة؛ فعلى سبيل المثال، أن فضل الله الحارثي، مؤسس الفرقة الشيعية المعروفة بالحروفية، بعد العودة من الحج إلى تبريز، قصد بلاط السلطان أويس الجلائري، فاحتفل السلطان به احتفالا عظيما وأكرمه إكراما جزيلا، حيث أهدى الشيخ فضل الله قلنسوته الصوفية إلى السلطان. مهما يكن من أمر، فهذه الرواية التاريخية تعكس مودة السلطان أويس لأهل

البيت وأتباعهم وحبهم الجم لهم (شاهمرادي، ١٣٩٦: ٧٦). زد على ذلك، أن السلطان أويس كان يكرم ذرية أهل البيت بالعطايا الكثيرة والهدايا الوفيرة، وكان يحترمهم احتراماً فائقاً، وكان يقوم بتوقيعهم وترفيعهم، حيث كان يعفو عن المجرمين السياسيين بسبب شفاعتهم (سمرقندي، ١٣٥٣: ٣٧٠).

أسباب نشوء الميول الشيعية لدى الحكام الجلائريين:

فيما تقدم ذكره، أشرنا إلى بعض أعمال الحكام الجلائريين وأنشطتهم التي تعكس ميولهم الشيعية، مما أدى إلى ارتفاع راية التشيع في العصر الجلائري. في هذا القسم من المقالة، نسعى أن نلقي نظرة تأملية على الأسباب التي دفعت الحكام الجلائريين إلى إظهار النزعات الشيعية.

محاولة اكتساب الشرعية

يقصد بالشرعية (Legitimacy) لغة الخضوع للقانون والتطابق معه. لقد تعددت التعريفات التي تناولت الشرعية لغة واصطلاحاً وتطورت إلى مواطن استخدامها؛ ولكن يمكن أن نقول بشكل كلي إن الشرعية من الناحية الاصطلاحية هي سيطرة القانون وأحقية النظام السياسي السائد في المجتمع، مما ينتج عنه جوهر الشرعية، وهو قبول الأغلبية العظمى من المحكومين لحق الحاكم في أن يحكم ويمارس السلطة باستخدام القوة. زد على ذلك، هناك اختلافات في عملية اكتساب الشرعية ومصادرها وأداتها؛ فيرى مثلاً ماركس فيبر أن العرف والعقل والكاريزما، مما يشكل المصادر الرئيسة للشرعية؛ إلا أن الحقيقة التي لا مرأى فيها أن مصادر الشرعية ووسائل تحقيقها تختلف في البلدان والمناطق المختلفة، حيث لا اتفاق عليها (قاضي، ١٣٧٧: ٢٩٩).

مهما يكن من شيء، فحين نلقي نظرة تأملية على تاريخ إيران والعالم الإسلامي، يتبين لنا أن مؤسسة الخلافة قبل الغزو المغولي كانت المصدر الرسمي الوحيد لإعطاء الشرعية للآخرين. فكان يعتبر جمهور المسلمين حكم الخلفاء العباسيين استمراراً لخلافة الله تعالى في الأرض، فكانوا يصفون عليهم صبغة إلهية؛ بذلك ما كان يكتسب الحكام والسلطين المحليين الشرعية في كل أنحاء العالم الإسلامي، إلا بعد الحصول على الخلع واللواء من جانب الخليفة.

ولكن بعد أن جاء الإعصار المغولي واقتلع في طريقه الدولة العباسية ودمرها في سنة ٦٥٦ للهجرة القمرية، وجدت الحكومات والدويلات المحلية المختلفة نفسها أمام تحديات كثيرة، كان أهمها وأخطرها اكتساب الشرعية. ففي الظروف المضطربة والملابسات الجديدة السائدة في العالم الإسلامي، حاول الحكام والسلطين المحليين أن يكتسبوا شرعيتهم من عامة الشعب وعقائدهم وآرائهم بشكل عام، ومعتقداتهم الدينية والمذهبية بشكل خاص (بيات، ١٣٩٢: ١٨٣-١٨٥).

منذ بواكير الإسلام، حرص الشيعة على الحصول على القدرة السياسية واستلام الحكم والتسلط، إلا أن محاولاتهم لم تتكل بالنجاح بسبب وجود الهجمة الشرسة التي كانت تستهدف استئصال الشيعة ومناصريهم والقضاء عليهم في العصرين الأموي والعباسي على التوالي. ولكن عقب الاجتياح المغولي على البلاد الإسلامية وسقوط الدولة العباسية، تمكن الشيعة من التخلص من ربة مؤسسة الخلافة العباسية والتحرر من قبضتها المهيمنة، مما تسبب في ارتفاع شأن الشيعة واتساع نطاق الميول الشيعية في المناطق الخاضعة لسيطرة الدولة الإيلخانية. ففي هذه الحقبة التاريخية، انتعش الشيعة، وتغلغل العنصر الشيعي في صلب الحكم، حيث اعتق السلطان أوجايغو، ثامن ملوك الإيلخانية، المذهب الشيعي الإمامي الاثني عشري وحاول فرضه في العراق وإيران. أما عقب انهيار الدولة الإيلخانية، فاستمر انتشار التشيع بسرعة فائقة، مما أفضى إلى قيام الدولة المرعشية والسربداران في شرق وشمال إيران. حين نلقي نظرة خاطفة على الأقاليم الخاضعة للدولة الجلائرية، يتضح لنا أن نصف أراضي الدولة أي العراق كانت على مذهب التشيع. في الحقيقة، يعود سبب نشوء بعض المدن الشيعية في العراق نحو كربلاء المقدسة والنجف الأشرف، إلى تواجد مراقد الأئمة المعصومين ومشاهدهم فيها، وكذلك انتشار ثقافة زيارة قبورهم، واستيطان جماعة كثيرة من الشيعة بالقرب من هذه المراقد المطهرة. من اللافت أنه بعد أن اختار الإمام على a الكوفة عاصمة للخلافة الإسلامية، صارت هذه المدينة موئلا للشيعة واكتظت بهم، أو بعد أن قامت الدولة الزيدية بتشيد مدينة الحلة بالقرب من المدينتين كربلاء والنجف في القرن الخامس للهجرة، صارت هذه المدينة الجديدة محل إقامة حشد وفير من الشيعة ومؤيديهم، وتحولت إلى قاعدة مهمة للشيعة ومحط علمائهم وشيوخهم (خزائلي، ١٣٨٩: ١٣).

مهما يكن من أمر، فتحول العراق شيئاً فشيئاً إلى أحد المراكز الرئيسة للشيعية الإمامية، حيث كان يقصده جم غفير من الشيعة من سائر الأقطار الإسلامية سنوياً لزيارة مرقد أئمتهم المعصومين وإقامة شعائرهم المذهبية. لذا حين وصل الجلائريون إلى عرش الحكم، حرصوا على إظهار الولاء والمودة لأهل البيت وأتباعهم، وعملوا على تشجيع انتشار التشيع، مما أدى إلى أن يتمتعوا بمكانة عالية في المجتمع ويستقطبوا الشعب الشيعي. مضافاً إلى العراق، تسرب العنصر الشيعي أيضاً في سائر المناطق الخاضعة لسيطرة الدولة الجلائرية، وخاصة أذربيجان. فمن الطبيعي، أن الحكام الجلائريين سعوا كل السعى أن يحظوا بحماية الشيعة وترحيبهم لاكتساب الشرعية وإرساء دعائم دولتهم الناشئة.

انتشار التصوف في أذربيجان واقتربه من التشيع:

هناك أقوال وآراء مختلفة حول نشوء التصوف، إلا أن غالبية الباحثين والمحققين يتفقون على أن جذور التصوف وبداياته تمتد إلى صدر الإسلام، حيث تفشي الفقر والفاقة والزهد في الملبس والطعام والسكن، أدى إلى انتشار الآراء الصوفية بين المسلمين الأوائل منذ بواكير الإسلام حتى القرن الثاني للهجرة. أما في القرن الثالث للهجرة، فبلغ التصوف ذروته، حيث انتشر بشكل كبير في المجتمع الإسلامي، وشمل معظم المدن والمناطق المختلفة في جميع الأقطار الإسلامية عموماً وإيران على وجه الخصوص، وأقيمت فيها حلقات كثيرة لتعليم وتعلم الآراء والأفكار الصوفية على نطاق واسع. لافلت للذكر أن التصوف استقر في القرنين الرابع والخامس للهجرة، واستقل، وتم الاعتراف به كفرقة خاصة. أما في القرن الخامس، فصار التصوف محط اهتمام الشعب والحكام الأمراء، حيث كان يرتاد الأمراء والسلاطين إلى الخانقاهات والزوايا الصوفية، ولقي الصوفية حظوة كبيرة عندهم. لقد استمرت عملية انتشار التصوف في القرن السادس بشكل ملحوظ. في الحقيقة، أن عدم استقرار الأوضاع السياسية والاجتماعية، وغياب الأمن، واحتدام نيران الفتن والصراعات الداخلية في كثير من المناطق، وارتفاع الأزمات الاقتصادية والمعيشية، وشيوع الاضطرابات النفسية والاكتئاب، وكذلك العكوف على الانعزال والعبادة والانقطاع إلى الله تعالى وما شاكل ذلك، مما وفر أرضية خصبة لتغلغل العنصر الصوفي أكثر فأكثر في المجتمع الإسلامي (بابايي، ١٣٩٢: ١٤٨-١٥٦).

إن الاجتياح المغولي على إيران وسائر الأقطار الإسلامية في القرن السابع للهجرة، أدى إلى تفشي الدمار والخراب والقتل وإراقة الدماء ونهب الخيرات والثروات وإشاعة الفقر والفاقة بين الرعية. في هذه الظروف القاسية والحرجة السائدة في القرن السابع للهجرة، تفاقمت المشاكل النفسية والعقلية بين الناس، مما أدى بهم إلى الاعتزال والانعزال والتصوف. أما بعد أن تربع الإيلخانيون على عرش الحكم، فنال التصوف مكانة عليا في المجتمع وفاقته مكانة القوى الدينية الأخرى، حيث كان الحكام الإيلخانيين يحرصون على زيارة كبار المتصوفة وكانوا يقدمون لهم الهبات الوفيرة والهدايا الكثيرة. في هذه الحقبة التاريخية، كثرت الخانقاهات ودور العبادة الصوفية في كل أرجاء الدولة بشكل لافت للنظر، وصار التصوف على صلة وثيقة بالمجتمع الإسلامي بعد أن كان منعزلا في الفترات السابقة، كما تزايد عدد مريدي الصوفية يوما بعد يوم، وحظي مشايخ الصوفية بمكانة ونفوذ كبيرين بين العامة والخاصة.

تزامنا مع ازدياد نفوذ التيار الصوفي في المجتمع بعد الإعصار المغولي، ازدهر التيار الشيعي أيضا؛ ومرجع ذلك أنه توفرت أرضية خصبة لنموه وازدهاره بعد أن توجهت الدولة العباسية نحو المغيّب. في هذه الفترة التاريخية، ظهرت قواسم مشتركة بين التيارين وتحقق التناغم والتوافق بينهما، مما أدى إلى التوحد بينهما على مرور الزمن (جعفریان، ١٣٨٨: ٧٦١).

مما لا يخامرنا الشك، أن التيار الصوفي، وإن استمد أصوله ومبادئه من السنة، إلا أنه صار على علاقة وطيدة مع التشيع بعد الاجتياح المغولي على الأقطار والأمصار الإسلامية. لقد اتفق الباحثون على أن الصلات الأولى بين التيارين الشيعي والصوفي ظهرت بعد نشوء الطريقة الكبرى الصوفية على يد نجم الدين الكبرى. إن نجم الدين الكبرى كان صوفيا سنيا، فهو رغم انعزاله عن الدنيا، لم يلتزم بالصمت بل ثار على الظلم والفساد، مما أدى إلى قتله على أيدي المغول.

لا يفوتنا أن نجم الدين الكبرى كان يجلب أهل بيت النبوة إجلالا عظيما (تركمني آذر، ١٣٨٣: ٢٩٤ - ٢٩٥)؛ فبما أن محاربة صنوف الاضطهاد والتككيل كانت من المبادئ والأصول الرئيسة لدى الشيعة، فيمكن أن نقول إن نجم الدين الكبرى كان يحمل الميول

الشيعية. وبالتالي حاولت سائر الطرق والسلاسل الصوفية التي ظهرت بعد غزو المغول، أن تنتمي إلى التشيع، حيث تشهد القرون السابع والثامن والتاسع نشوء العديد من الحركات الشيعية والصوفية في كثير من الأقطار الإسلامية الممتدة من ماوراء النهر شرقا إلى الشامات ومصر غربا (شاهمرادي، ١٣٩٢: ٦٣ - ٦٤). ويبدو أن هذا الأمر دفع هنري كوربان، المستشرق الشهير الفرنسي، إلى أن يقول: ((إن باطن التصوف هو التشيع وباطن التشيع هو التصوف)) (كوربن، ١٣٣٧: ٤٦ - ٦٣).

وأما في عصر الدولة الجلائرية، فتوطدت علاقات وثيقة بين التصوف والتشيع، وتسربت الميول الصوفية والشيعية بين العامة في الأقاليم الخاضعة لسلطة الجلائريين، حيث رحب السلطان أويس بمؤسس الفرقة الحروفية، فضل الله الأسترباذي وأكرمه إكراما جليا، مما يدل كل دلالة على تفشي النزعات الشيعية والميول الصوفية بين الناس. نظرا إلى الظروف والملايسات السائدة في المجتمع والتوحد بين التصوف والتشيع، فمال الجلائريون إلى التشيع وأيدوه لاستعطاف القلوب واستمالتها.

تواجد المراقد والأضرحة المطهرة الشيعية في الأقاليم الخاضعة لسلطة الجلائريين:

من الثابت أن العراق يحتضن المراقد المطهرة لسته الأئمة الطاهرين والمقامات والمشاهد المقدسة. فيقع مثلا المرقد العلوي المطهر في مدينة النجف الأشرف، أو يقع مرقد سيد الشهداء الإمام الحسين a في كربلا المقدسة، كما يقع مرقد الإمام الكاظم a والإمام الجواد a في الكاظمين ويعرف بالحرم الكاظمي، أو يقع مرقد الإمام الهادي a وابنه الكريم الإمام الحسن العسكري في سامراء. مع أن الشيعة ما كانوا يستطيعون زيارة مراقد أئمتهم المعصومين والمقامات في العصر العباسي بسبب الضغوط الكثيرة التي كانوا يتعرضون لها، إلا أنه بعد الغزو المغولي وانهيار الدولة العباسية السنية، تخلص العراق والأماكن المقدسة الشيعية من نير سيطرة الخلفاء العباسيين واضطهادهم؛ بذلك تحولت المشاهد والمراقد المطهرة والأضرحة المقدسة لأئمة الشيعة في المدن الشيعية العراقية شيئا فشيئا إلى مراكز رئيسة لاجتماع الزوار الشيعة من مختلف أنحاء الأقطار الإسلامية.

في الحقيقة، عقب هجوم المغول على العالم الإسلامي وسقوط الدولة العباسية، تهيأت ظروف وملايسات مناسبة لتوسيع نطاق الشيعة وارتفاع شأنهم، مما كان له دور فاعل في

توسيع وتطوير المدن الشيعية العراقية بشكل عام وكربلاء المقدسة والنجف الأشرف على وجه الخصوص. مهما يكن من أمر، فالمكانة المرموقة للمراقد والمشاهد المطهرة للأئمة المعصومين لدى الشيعة ودورها البارز في إنعاش العراق وازدهاره وتطويره، أدت إلى أن يتعامل الجلائريون مع الشيعة باحترام فائق وتقدير كبير وحظيت مشاهد أهل البيت في العراق باهتمام خاص (خزائلي، ١٣٨٩: ١١ - ١٣).

حضور الشافعيين في أذربيجان:

إن التيار الشيعي، وإن تسرب في أذربيجان من قبل القبائل اليمينية، إلا أن دائرة نفوذه كان ضيقاً جداً. تشير المصادر التاريخية إلى أن غالبية سكان أذربيجان في القرنين السابع والثامن للهجرة، كانوا على السنة بشكل عام والمذهب الشافعي بشكل خاص. كما نعلم أن المذهب الشافعي كان ولا يزال أقرب المذاهب السنية للتشيع، حيث عرف الإمام الشافعي، محمد بن إدريس (١٥٠ - ٢٠٤ هـ.ق)، مؤسس هذا المذهب الفقهي، بمحبته لأهل البيت d، وقال أبيات شعرية في حقهم، وكانت له علاقات حميمة مع الشيعة، حيث رمي بالرفض واتهم بالتشيع. زد على ذلك، كانت هناك علاقة وطيدة بين الشيعة والشافعيين، حيث حين كان يتعرض الشيعة للأذى والاضطهاد، ويحذرون من إظهار عقيدتهم، كانوا يدعون أنهم على المذهب الشافعي تقية للتخلص من قيود السجن وأغلال الحبس. قمين بالذكر أن أبا المجد محمد بن مسعود التبريزي، مؤلف كتاب "سفينة تبريز"، الذي تم تأليفه في سنوات ٧٢١ - ٧٢٣ للهجرة القمرية، يشير بكل وضوح إلى ولاء علماء تبريز ومودتهم لأهل البيت والتعاليم والآراء الشيعية (شاهمرادي، ١٣٩٢: ٦٧). إن الصلة الوثيقة بين الشيعة والشافعية أدت إلى أن الشافعيين الذين كانوا يشكلون الأغلبية السكانية في أذربيجان، أعلنوا التصاقهم بالشيعة. فيستفاد من كل هذا أن موالاة الحكام الجلائريين لأهل بيت النبوة والأئمة المعصومين واهتمامهم البارز بقبورهم ومشاهدهم المطهرة في العراق كانت تتماشى مع المعتقدات الشيعية من جهة، وكانت تتناغم مع المعتقدات الشافعية الغالبة لدى سكان أذربيجان من جهة أخرى.

الخاتمة:-

تبين لنا من خلال هذا العرض الموجز والمتواضع أن الجلائريين دعموا الشيعة وحرصوا على انتشار الآراء الشيعية في الأقاليم الخاضعة لسيطرتهم، بذلك لجأوا إلى

مختلف الأعمال والأنشطة التي كانت تتم عن ميولهم الشيعية، نحو اتخاذ الأسماء الشيعية، والدفن جوار المراقد والمشاهد المطهرة لأئمة الشيعة، والقيام بأعمال إيمانية متنوعة في العتبات المقدسة ونقش أسماء الأئمة المعصومين على نقود والسكوك. والحقيقة التي لا مراء فيها، أن البواعث الرئيسة على إيجاد الميول الشيعية لدى الحكام الجلائريين، تعود إلى الظروف والملايسات السائدة في تلك الحقبة التاريخية، والتي ساهمت إسهاما بارزا في اتساع نطاق النزعات الشيعية. يبدو أن حاجة الجلائريين الماسة إلى اكتساب الشرعية كان من الأسباب المهمة لانجذابهم إلى الشيعة. زد على ذلك، كانت الغالبية السكانية في العراق على مذهب التشيع، وكان العراق قاعدة رئيسة للشيعة وأتباعهم؛ بذلك حرص الجلائريون على دعم الشيعة لاكتساب شرعيتهم. مضافا إلى ذلك، في هذه الحقبة، نشأت علاقات وطيدة بين التصوف والتشيع وظهرت قواسم مشتركة بينهما، مما دفع الجلائريين إلى اتخاذ خطوات قيمة لتوسيع رقعة التشيع. من الأسباب الأخرى لحرص الجلائريين على إذاعة مذهب التشيع كون الغالبية الساحقة من سكان أذربيجان على المذهب الشافعي. فكان الشافعيون يجلبون الأئمة الطاهرين تبجيلا، وكانوا يعظمونهم تعظيما، وكانوا يسعون أن يكونوا على علاقات حميمة مع الشيعة. وأخيرا، ينبغي أن نشير إلى وجود المراقد المطهرة لأئمة الشيعة وعلمائهم وشيوخهم في المناطق التي كانت تحت سيطرة الدولة الجلائرية، مما أدى إلى أن يقصد الزوار الشيعة المدن الشيعية العراقية من كل أرجاء العالم الإسلامي سنويا وانتعاش الشيعة فيها.

قائمة المصادر والمراجع

١. آل محبوه، جعفر. (١٤٠٦هـ.ق). ماضي النجف وحاضرها. ط ٢. بيروت: دار الأضواء.
٢. بابايي، يلدا. (١٣٩٢هـ.ش). سيري در تصوف از آغاز تا قرن پنجم. فصلنامه تخصصي عرفان اسلامي. س ١٠. ع ٣٧. ص ١٤٥-١٥٩.
٣. بويل، جان اندرو. (١٣٦٦هـ.ش). تاريخ ايران كمبريج از آمدن سلجوقيان تا فروپاشي دولت ايلخان. ترجمه حسن انوشه. تهران: امير كبير.
٤. بيات، مسعود. (١٣٩٢هـ.ش). گمانه زني هايي در باب علل گرايش تيموريان به تشيع. مجله شيعه شناسي. س ١١. ع ٤٣. ص ١٧٥-٢٠٤.
٥. بياني، شيرين. (١٣٤٥هـ.ش). آل جلاير. تهران: دانش گاه تهران.
٦. ترابي طباطبائي، سيد جمال. (١٣٥٣هـ.ش). سكه هاي شاهان اسلامي ايران. نشرية موزه آذربايجان. تبريز: انتشارات اداره كل موزه ها.
٧. تركمني آذر، پروين. (١٣٨٣هـ.ش). تاريخ سياسي شيعيان اثني عشري در ايران: از ورود مسلمانان به ايران تا تشكيل صفويه. قم: مؤسسه شيعه شناسي.
٨. جعفريان، رسول. (١٣٨٨هـ.ش). تاريخ تشيع در ايران از آغاز تا طلوع دولت صفوي. تهران: علمي.
٩. حافظ ابرو، شهاب الدين عبد الله. (١٣٥٠هـ.ش). ذيل جامع التواريخ رشيدي. تصحيح خانابا بياني. تهران: انجمن آثار ملي.
١٠. خزائلي، علي رضا. (١٣٨٩هـ.ش). جغرافياي تاريخي سرزمين هاي اسلامي. تهران: دانش گاه پيام نور.
١١. سرافرازي، عباس. (١٣٩٤هـ.ش). شعائر شيعي بر سكه هاي اسلامي تا شكل گيري حكومت صفويان. مجله شيعه شناسي. ع ٥١. ص ٧-٢٦.
١٢. سمرقندي، كمال الدين عبد الرزاق. (١٣٥٣هـ.ش). مطلع سعدين و مجمع بحرين. مصحح عبد الحسين نوايي. تهران: كتابخانه طهوري.
١٣. شاهمرادي، مسعود. (١٣٩٦هـ.ش). نگرش حاكمان آذربايجان به تشيع: از فروپاشي ايلخانان تا تأسيس صفويه. فصلنامه تاريخ اسلام. ع ٢٨. ص ٧١-٩٨.
١٤. فسايي، حسن بن حسن حسيني. (١٣٦٧هـ.ش). فارسنامه ناصري. تهران: امير كبير.

(٨٢٢)الدولة الجلائرية والتشييع: وقفة تأملية عند أسباب النزعات الشيعية لدى الجلائريين

١٥. فقيه بحر العلوم، محمد مهدي. (١٣٩٦هـ.ش). تاريخچه انتقال جنائز به عتبات عاليات: شهر كربلا. فصلنامه فرهنگ زیارت. ع ٣٣. ص ٧-٤٤.

١٦. قاضي، ابو الفضل. (١٣٧٧هـ.ش). حقوق اساسي و نهادهاي سياسي. تهران: دانش گاه تهران. ١٧. قائدان، اصغر. (١٣٨٣هـ.ش). عتبات عاليات عراق. تهران: مشعر.

١٨. كربن، هانري. (١٣٣٧هـ.ش). سه گفتار در باب تاريخ معنويات ايران. مجله دانشكده ادبيات تهران. صص ٢٩-٣٧.

١٩. الموسوي، عبد الرسول. (٢٠٠٤م). الشيعة في التاريخ. القاهرة: مكتبة مدبولي.

٢٠. ميرخواند، محمد بن برهان الدين. (١٣٣٩هـ.ش). تاريخ روضة الصفا. تهران: خيام.

٢١. كرمي پور، حميد. (١٣٩٨هـ.ش). ((جلايريان))، دايره المعارف بزرگ اسلامي. ج ١٨. تهران: دائرة المعارف بزرگ اسلامي.